المحاضرة الثانية

قراءة في كتاب الحركات الاستقلاليّة في المغرب العربي

صدر كتاب «**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**» في سنة 1948 بالقاهرة. وقد وضّح **علاّل الفاسي** في فاتحة كتابه الظّروف التي جعلته يؤلّف هذا الكتاب فقال:

«**يرجع الفضل الأوّل في تأليف هذا لكتاب لتوجيه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وقد قررت استكتاب أدباء لعرب عدّة موضوعات ترجع لتصوير الحالة الحاضرة في العالم العربي. وبناء على ذلك طلب مني رئيسها الأستاذ الكبير أحمد أمين بك، أن أكتب للجامعة فصلا عن الحركات الاستقلالية في المغرب العربي. وقد رأيت أن موضوعا بالغ الأهمية مثل هذا، لا يكفي فه فصل واحد تنشره إحدى المجلات أو يطبع ضمن مجموعة تحتوي على فصول متنوعة، فقرّرت أن أكتب خلاصة وافية عن المقاومة المغربية في شتى صورها الحربية الدبلوماسية والسّياسية، أعرضها على الناس ضمن كتاب خاص، ثم استخرج منها صلا مختصرا يفي بالحاجة التي قصدتها الإدارة الثقافية. وهكذا تمّ هذا المؤلّف الذي أقدمه اليوم للجامعة العربية وأنصارها**».

ثمّ صدرت الطّبعة الثانية عن (دار مبد السّلام جسوس للنشر والتوزيع) في طنجة وطبعت في (دار الطباعة المغربية) في تطوان بدون تاريخ. ولعلّ هذه الطبعة المغربية صدرت في السّنوات الأولى للاستقلال ما بين سنة 1958 وسنة 1959. حسب الدّكتور **مصطفى الكثيري**.

استهلّ الأستاذ **علاّل الفاسي** مقدّمة كتابه بآية من القرآن الكريم،

بسم الله الرحمن الرحيم: «**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**». «**قرآن كريم**»، ثمّ قال: يرجع الفضل الأول في تأليف هذا الكتاب لتوجيه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، فقد قررت استكتاب أدباء العرب عدة موضوعات ترجع لتصوير الحالة الحاضرة في العالم العربي. وبناء على ذلك طلب مني رئيسها الأستاذ الكبير أحمد أمين بك أن أكتب للجامعة فصلا عن (**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**).

وقد رأيت أن موضوعا بالغ الأهمية مثل هذا لا يكفي فيه فصل واحد تنشره إحدى المجلات أو يطبع ضمن مجموعة تحتوي على فصول متنوّعة، قررت أن أكتب خلاصة وافية عن المقاومة المغربية في شتى صورها الحربية والدبلوماسية والسياسية أعرضها على الناس ضمن كتاب خاص، ثمّ أستخرج منه فصلا مختصرا يفي بالحاجة التي قصدتها الإدارة الثقافية، وهكذا تم هذا المؤلّف الذي أقدمه اليوم للجامعة العربية وأنصارها.

وقد توخيت في هذا العمل غايات قومية مفيدة. أولاها أن أعرف الناشئة العربية عموما والمغربية خصوصا بالأطوار التي مرت فيها حركة بلادنا، والمجهودات التي بذلها مؤسسو هذه الحركة ومغذّوها المتعاقبون ليكون لهم في ذلك عبرة طيبة وقدوة حسنة، وليسهل عليهم أن يجعلوا ممّا يبذلونه من جهد في سبيل تحرير أمتهم وبعثها امتدادا لسلسلة منسجمة الحلقات محكمة الإفراغ يتمم بعضها بعضا، ويكون اللاحق منها والسابق عناصر تناسق تلقائي شبيه بهذه الأنغام الموسيقية التي يجعل منها التناسق وحدة بديعة وكلية رفيعة.

وثانيتها: أن أعرف العرب وخاصة المسؤولين منهم بما لا يزالون يجهلونه من أماني الأمّة المغربية وما تبذله في سبيل تحقيقها ؛ لأن ذلك سيعرفهم عن يقين باتحاد الغاية التي يجاهدون من أجلها مع غايتنا نحن، وسيوضح لهم ضرورة تنسيق الكفاح العربي وإن تعددت ألوانه واختلفت مظاهره، وذلك من شأنه أن يساعد على تكوين الشمول في

التفكير العربي حتى لا يبقى كل إقليم من أقاليم الأمة العربية ينظر لمصالحه الخاصة وحدها، وهي في الحقيقة جزء من صالح عام عربي، وحينئذ يتسنى للجامعة العربية أن تسوق السبعين مليونا من العرب لحظيرة كفاح قوى من أجل التحرر الكامل والانبعاث العظيم.

أمّا الثّالثة: فهي إقامة الحجة أمام الرأي العام الدولي على أن شعوب المغرب العربي لم تقبل أبدا الاحتلال الأجنبي وعلى أن القوات القاهرة والأساليب السياسية الماكرة كلها لم تستطع أن ترضي بالمغاربة بالحقيقة المرّة التي هي حكم الفرنسيين والإسبانيين لبلادنا، وهذا الصراع الذي يجليه للناس هذا الكتاب دون أن يكتم بواعثه وعوامل تطوره أعظم حجة على أن مشكلات المغرب العربي ليس لها إلا حل واحد هو الحل المعقول العادل؛ غياب عهد الاستعمار، وإشراق عصر الاستقلال التام الكامل.

ولقد بذلت جهدي في أن أكون أثناء تجلية الأحداث التي مرت في هذه الفترة من تاريخنا القومي وفي تعليلها بعيدا عن كل تعصب أو غرض خاص لأنني أعتبر أن الحقيقة واضحة من نفسها، وأن محاولة تدعيمها بما لا يتفق ليس من شأنه إلاّ أن يضر ويعفي عليها. وكذلك كان موقفي مع الحركات المختلفة التي ورد لها ذكر في كتابي، فقد وفيت كلا حقه، ونسبت لكل عامل عمله.

وسيلاحظ القارئ أنّ القسم المراكشي أكبر الأقسام الثلاثة حجما وأغزرها مادة. ولي في ذلك أعذار كثيرة، منها أن ما عندي من الوثائق عن قضية مراكش أكثر مما عندي عن القطرين الشّقيقين تونس والجزائر. ومنها أنّني آثرت أثناء شرحي لمبادئ حركاتنا التي هي في الحقيقة مبادئ الأحزاب الاستقلالية كما أن أتكلّم عنها باسم حزب الاستقلال الذي أمثله لأنّني أملك في ذلك من الحق ما لا أملكه في بقية الأحزاب الصديقة التي لا أشك في أن زعماءها مشاركون لي فيما أعربت عنه من أفكار. ومنها: إن بعض المسائل كالسلفية مثلا واتجاهاتها السياسية كان يمكن أن يكتب في أثناء تاريخ كل حركة من حركات الأقطار الثلاثة ، لأنها جميعا شاهدت في أوائل عهدها بالنهوض هذه الدعوة السلفية النبيلة، ولكن كتابته في

كل قسم يصبح تكرارا لا فائدة له، وبما أنّ ازدهار هذه الدّعوة في مراكش كان موازيا تماما للتطور الذي طرأ على السّلفية فيما بعد الحرب الكبرى – فقد كان ذلك مرجحا للحديث عنها في القسم المراكشي.

والحقيقة أنّ **الحركات المغربية** – وإن تعددت أسماؤها – حركة واحدة تنشد الحرية والوحدة والنهوض.

وإذا كان من حسن النية شفيع، فإنّي أعتذر به عن كل ما يمكن أن يكون قد وقع في هذا الكتاب من خطأ غير مقصود، على أنّ الخطأ فضيلة الإنسان؛ لأنّه علامة الفكر وعنوان الاعتبار، وليس إلاّ الإنسان الآلي يستطيع أن يعمل من غير أخطاء.

وقبل أن أختم هذه الفاتحة أشكر صديقي **الأستاذ أحمد المليح** على مشاركته لي في الوقوف على طبع هذا الكتاب، وتصحيح أغلاطه المطبعيّة، كما أشكر **مطبعة الرّسالة** على عنايتها وعظيم اهتمامها.

علاّل الفاسي

القاهرة في أكتوبر سنة 1948.

إنّ القيمة التّاريخية لهذا الكتاب تكمن في استيعابه لأطوار النّضال الذي خاضته الحركات الاستقلالية في كلّ من المغرب والجزائر وتونس. كما تكمن قيمته أنّ المؤلّف هو أحد أبرز صنّاع هذا التاريخ، فهو لا يكتب من خارج الأحداث، وإنّما يكتب من صميم المعركة الوطنية. فهو مجاهد وطني، وهو زعيم وقائد، وبل هو من الرواد الأوائل للحركة الوطنية المغربية. وبهذا الاعتبار، جاء مضمون هذا الكاتب جامعا شاملا، ومادة دسمة حيّة من المعلومات والإفادات والتحليلات، بحيث يمكن القول إنّ (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي)، هو أول كتاب مرجعي عن **الحركات الوطنية المغاربية** بدون منازع.

ثمّ تأتي الأهمّية الثانية لهذا الكتاب التي تكمن في كونه مرجعا لا يستغنى عنه لتاريخ **وحدة المغرب العربي** من خلال انخراط الطّلائع النضالية الاستقلالية في هذه المنطقة، في كفاح مشترك من أجل التحرير والاستقلال. فهو يستعرض مراحل النضال التي مرت بها أقطار المغرب العربي الثلاثة: **المغرب والجزائر وتونس،** مرحلة بعد مرحلة، وإن كان الجزء الأكبر من الكتابات مخصّص للمغرب.

وقد كتب توطئة الكتاب في طبعته الجديدة **الدّكتور مصطفى الكثيري،** وقال فيها:

«من المحقق أنّ مؤلّف **علاّل الفاسي** «**الحركات الاستقلالية في الغرب العربي**» من أهمّ المصادر التّاريخية المرجعية لكلّ باحث في أصول وجذور ومنابع الحركات السّياسية والتّحررية التي أثثت المنطقة المغاربية إبّان فترة الاحتلال الأجنبي الذي جثم عليها حينا من الزمن. فهو بحث تاريخي رصين ونافذ في مكوّنات الحركات الاستقلالية في كلّ من الأقطار المغاربية الثلاثة المغرب والجزائر وتونس بأبعادها الاجتماعية والإثنية والنّفسية والهوياتية لكلّ منها ولها مجتمعة.

وقد ظهرت فكرة كتابة هذا المؤلّف الجامع استجابة لنداء الدائرة الثقافية لجامعة الدول العربية بوصفها الموجه للكتاب والأدباء والسياسيين العرب في شأن إعداد دراسات تتناول أوضاع وحال الأمّة في أربعينيات القرن العشرين. وما كان لهذه المهمّة العلمية أن تنجز بعمق التّحليل ودقّة المقاربة دون إشراك رمز من رموز النّضال الوطني في **المغرب العربي** وأحد مثقّفيه المرموقين المطلع والعارف بخبايا وأحداث وتفاعلات الزّمن المغاربي في ذلك الوقت. إنّه الزعيم الوطني **علاّل الفاسي**.

تكمن القيمة العلمية لمؤلّف «**الحركات الاستقلالية في الغرب العربي**» في القدرة التّوثيقية وغزارة المعلومات والمعطيات التي جمعها المرحوم **علال الفاسي** عن المكوّنات السّياسية والاجتماعية والثّقافية للحركات النضالية في الأقطار الثلاثة للمغرب العرب ، وفي تفوّق المفكّر المجتهد والذي هو في ذات الوقت بطل المرحلة السياسية ومن كبار صناع

وشهود أحداثها التاريخية في إيجاد الرابط الذي يصل ويجمع أوجه التماثل والتشابه العديدة بين هذه الحركات في تعدّد مقوماتها وأشكالها التنظيمية وتمايز منطلقاتها التنظيرية والإيديولوجية وتنوع مواقفها السياسية إزاء الأحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة في النصف الأول من القرن العشرين، ليصل الزعيم **علاّل الفاسي** للخلاصة والحقيقة الدامغة في كون «**الحركات المغربية** – وإن تعدّدت أسماؤها- حركة واحدة تنشد الحرية والوحدة والنهوض» لأنّها، يضيف المرحوم **علال الفاسي**، نابعة من أمّة (**الأمة المغاربية**) اتّصفت على الدّوام بالوطنية بمفهومها «كدفاع عن النفس والذّب عن الكيان والميل للحرية الفردية والاجتماعية».

لم يقتصر الكاتب في عرضه للحركات الاستقلالية في المغرب العربي على المكونات القائمة في أربعينيات القرن الماضي بل تطرّق إلى الجذور التّاريخية لهذه الحركات التحررية باعتبارها من التجليات الدالة والمعبرة على وحدة شعوب أقطار شمال إفريقيا وعراقة الوشائج الروحية والأخوية بين أبنائها وإيمانهم العميق بمقوماتهم وبالمصير الواحد المشترك والقواسم المجسّدة لمدى التّلاحم بين أبناء هذا الجناح الغربي من ديار العروبة والإسلام. وهو موضوع شاسع وخصب له قيمته وراهنيته وضرورته الملحّة في كشف ورصد جوانب مضيئة من فصول تاريخنا المعاصر ومدى ما تنطق به من صور الكفاح المشترك بين الأشقاء المغاربيين في مواجهة الاحتلال الأجنبي.

ولم يكن غريبا أن يفرد الزعيم **علاّل الفاسي** إصدارا جامعا مانعا في هذا الموضوع استحضارا للتراث النضالي بين أقطار **الشمال الإفريقي**، لاسيما وقد كان أحد صناعه.

يجسّد هذا المؤلّف حول **الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي** إشراقات وروائع من تاريخنا الحديث العهد لتوثيق ملاحم الكفاح البطولي الذي خاضت غماره شعوب المنطقة المغاربية في وحدة راسخة وتلاحم وثيق في مواجهة الاحتلال الأجنبي، وهو بشكل هادف يخدم حاضر ومستقبل الشعوب المغاربية ويذكي إرادة رص صفها وتوطيد العرى الوثيقة التي

تشدها اعتزازا بذاكرة الكفاح المشترك الذي انخرط وانغمر فيه الأولون من الماهدين للعمل الوطني وجيل النضالات السياسية والمقاومة والحركة التحريرية في سبيل الاستقلال الوطني والوحدة المغاربية، وكثيرة هي مواقف النّضال الوحدوي والوقوف في مواجهة التحدي الاستعماري. ومن الوقفات التاريخية التي بصمت هذا البعد الوحدوي «**مؤتمر المغرب العربي**» لتوحيد الأهداف والتوجهات على طريق تحرير أقطار **المغرب العربي** الكبير وتكوين (**مكتب المغرب العربي بالقاهرة**) ثمّ تأسيس لجنة (**تحرير المغرب العربي**) التي أقطار رئاستها لزعيم الثورة الريفية المغربية البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي برز عمله على صعيد مكتب المغرب العربي بالقاهرة في تنسيق خطط الكفاح بين شمال أفريقيا منذ لجوئه إلى مصر. ومن الجدير بالذكر أنّه تحقق تأسيس اللجنة التي تضمّ: زعامات الأحزاب المغاربية، وهي الحزب الحر الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري ومن الأحزاب المغربية، حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الوحدة وحزب الإصلاح الوطني، وكانت كلّها تتبنّى وحدة القضية وإرادة التحرير المشتركة والاستقلال التّام لأقطار **المغرب العربي**، وانطلاق حركات المقاومة والتحرير.